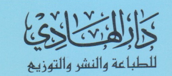


آداب السلوك في الاسلام

آداب المشي

آداب السفر

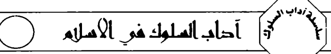
السيد سامي خضرا



للطباعة والنشر والتوزيع

- آداب المشي
- آداب السفر

بسم الله الرحمن الرحيم



آداب المشي
آداب السفر



السيد سامي خضرا



للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

فصل: في المشي

بـاب
أداب المشي

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾[(١)].

المؤمن الخلوق، خلوقٌ في كل حركة من حركاته، وفي كل نَظْرَة من نظراته... ومشيةُ المرء، في أكثر الحالات، دليل على باطنه وواقعه. لذا كان النهيُ في الإسلام عن مشية التكبر. فقال الله تبارك وتعالى: **﴿ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كلَّ مختال فخور﴾**[(٢)]. وقال عز وجل: **﴿ولا**

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٨.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٨.

تمشِ في الأرض مرحاً، إنك لن تخرق الأرضَ، ولن تبلُغ الجبالَ طولاً﴾[1].

من هنا فإنَّ المستحب في الإسلام، أن يمشيَ المرءُ مِشيةَ المتواضع المتذلل في نفسه لله تبارك وتعالى دون عباده، وهذا ما فُسِّرت به كلمةُ الهَوْن في قوله عز وجل: **﴿وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هَوْناً﴾**[2] أي الذين يمشون برفق ولين وتواضع للعباد، ويخالطون الناس ويعاشرونهم بالمعروف والحسنى.

كما يستحب خفضُ الطَرْفِ في حالةِ المشي، والنظر إلى الأرض. . . وهكذا كانت مشْيَةُ رسول الله ﷺ على ما رواه الحسنُ بن علي عليه السلام، حيث قال واصفاً مشيته ﷺ: «. . . إذا زال زال قلعاً، يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً، سريعَ المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافضَ الطرف، نظرُه إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء، جُلُّ نظرِهِ الملاحظة. . . ويَبْدُرُ مَنْ لقي بالسلام. . . »[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٧.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.
(٣) مكارم الأخلاق: ص ١٢.

وكان حبيبُنا ومولانا زينُ العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مثالَ التواضع لرب العالمين، وإخوانِه المؤمنين، وكان يمشي وعليه السكينة والخشوع، دون أن يظهر على أطرافه ما يخالف ذلك.

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن جده: كان عليُ بن الحسين صلواتُ الله عليه يمشي مشيةً كأنَّ على رأسه الطير، لا يسبق يمينُه شِماله»[1].

أما مولانا مولى المتقين عليٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عندما يصف أهل التقوى بصفات عجيبة، فلا ينسى أن يشير إلى مِشيتهم فيقول عَلَيْهِ السَّلَامُ : «منطِقُهُمْ الصواب، ومَلْبسُهُمْ الاقتصاد، ومشيُهُم التواضع. . . »[2].

وأما من يسعى تكبراً، ويُقلِّدُ الجبابرةَ والعظماء، فهو مبغوض عند رب العزة تعالى شأنه، حيث قال الله عز وجل لهؤلاء، استخفافاً بغرورهم: **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرضَ ولن تبلُغ الجبال طولاً﴾**.

وروى الطبراني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «من تعظم في نفسه، أو اختال في مشيته، لقيَ الله تبارك وتعالى وهو عليه

---

(١) ميزان الحكمة: ح ١٨٦١٢.
(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٩٣.

غضبان»[١]، وعنه ﷺ: «من مشى على الأرض اختيالاً، لعنته الأرضُ ومَنْ تحتها ومَنْ فوقها»[٢].

ونرى سيدنا لقمان عليه السلام ينصح ابنه فيما ينصحه: ﴿واقصِد في مشيِك﴾[٣].

ويُستثنى من حرمة، أو كراهية مشية التبختر، ما إذا كان المرء أمام الأعداء والمبغضين، وأراد أن يتفاخر عليهم، ويعتزَّ بإسلامه المحمدي الأصيل، فلا بأس بذلك. فقد رُوي عن الصادق عليه السلام قوله: إن أبا دجانة الأنصاري، اعتمَّ يوم أُحُدْ بعمامة له، وأرخَى عَذَبَةَ العِمَامةِ من خلفه بين كتفيه، ثم جعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه لمشية يُبغضها الله تعالى، إلا عند القتال في سبيل الله»[٤].

وما عدا هذه الحالة، فلا ينبغي للمؤمن في مشيه، إلا أن يكون متواضعاً لا جباراً طاغياً. إذ روى بشير النبَّال، أنه كان مع الباقر عليه السلام في المسجد، إذ مرَّ رجلٌ أسود وهو ينزع في مشيه، فقال أبو جعفر عليه السلام: إنه لجبار، فقال بشير: إنه

---

(١) ميزان الحكمة: ح ١٨٦٢٠.
(٢) المصدر نفسه: ح ١٨٦١٩.
(٣) سورة لقمان: الآية ١٩.
(٤) ميزان الحكمة: ح ١٨٦٢١ وح ١٨٦٢٢ (بتصرف).

سائل، فردَّ عليه الإمام: إنه جبار[1].

ويستحب للمرأة أن تمشيَ على جانبي الطريق، لا في وسطها، لما في ذلك من معاني السَتْرِ والخجلِ وغض البصر، وَدَرْءِ الفتنة. وفي هذا الإطار روي عن الصادق عليه السلام قوله: «ليس للمرأة أن تمشيَ وسطَ الطريق، ولكن تمشي في جانبيه»[2]، وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله أيضاً: «ليس للنساء من سروات الطريق، يعني من وسطه، إنما لهن جوانبه»[3].

وأما السرعة في المشي فمكروهة من غير ضرورة، لأنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن»[4]، كما ورد عن الصادق عليه السلام «المشي المستعجل يذهب ببهاء المؤمن ويُطْفِىء نوره»[5].

أما عند الضرورة فلا بأس به، حيث رُوي أن قوماً مشاة، أدركهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكوا إليه شدة المشي، فقال لهم: «استعينوا بالنسل»[6] والنسل هو الإسراع في المشي، وجاء

---

(١) ميزان الحكمة: ح ١٨٦٢٥.
(٢) مكارم الأخلاق: ص ٢٠٨.
(٣) المصدر نفسه: ص ٢٥٩.
(٤) ميزان الحكمة: ح ١٨٦١٣.
(٥) المصدر نفسه: ح ١٨٦١٤.
(٦) مكارم الأخلاق: ص ٢٥٧.

عن الصادق عليه السلام: «سيروا وانْسِلوا، فإنه أخف عليكم»[١] ومعنى انسلوا أي أسرعوا في مشيكم.

وقد ذُكر، في عشرات الروايات والأخبار، استحبابُ حملِ العصا عند المشي، حضراً وسفراً، وأنها علامةُ المؤمن، وسنةُ الأنبياء، وتنفي الفقر، وتمنعُ الاختيالَ في المشي، فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «من مشى مع العصا، في السفر والحضر، للتواضع، يُكتبُ له بكلِّ خُطوةٍ ألفُ حسنة، ومحي عنه ألفُ سيئة، ورُفع له ألفُ درجة»[٢].

ويُكره للمرء أن يسافرَ وحيداً، تماماً كما كنا قد ذكرنا سابقاً حولَ كراهيةِ أن ينام أو يبيتَ وحيداً، فقد يصيبه مرضٌ مفاجىء، أو حاجةٌ أو ألمٌ أو ضررورة، أو قد يحتاج في مشيه أو سفره لِمَنْ يساعدُهُ أو يستعينُ به، أو يتسلى معه ويستأنسُ به، وهذا ما نلاحظه نحن عند سفرنا، حيث تشتد الحاجةُ إلى الصاحب والمعين. وفي هذا المجال ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قال لعلي عليه السلام: «يا علي، لا تخرج في سفرك وحدك، فإن الشيطان مع الواحد، ومع الاثنين أبعد»[٣].

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٥٧.
(٢) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣٠٢.
(٣) مكارم الأخلاق: ص ٢٥٩.

وجاء عن النبي ﷺ أنه لعن ثلاثة: الآكل زادَه وحده، والنائم في بيت وحده، والراكب في الفلاة وحده»[1].

ولكن، وفي بعض الأحيان، ولسبب أو لآخر، قد يضطر الإنسان للسفر وحده، إما لعدم وجود الصاحب، أو بسبب سرعة السفر، فيُستحب له إذا خرج لوحده في سفر، أن يقول: «ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم آنس وحشتي، وأعنّي على وَحْدتي، وأدِّ غيبتي»[2].

وكان عليٌّ عليه السلام قد دعا ربَّه عند عزمه على المسير إلى الشام، كما في نهج البلاغة قائلاً: «اللهم أنت الصاحبُ في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، ولا يَجْمَعُهُما غيرُك، لأنَّ المُستخلَفَ لا يكونُ مُسْتصحباً، والمستصحبَ لا يكون مُسْتخلفاً»[3].

ويُستحب مطلقاً للماشي أن يُحسنَ النية ويُخْلصَها لله تعالى، لأنه لا يدري إلى أين مصيره، وهل يرجع من سفره المقصود، أم من مَشْيته هذه سالماً أم لا؟! كما يُستحب للماشي أن يكون متفكراً في عجائب صنع الله، وكيف وهبه

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ٤٦.

القوة والعزم، والقدرة على الانتقال من مكان إلى آخر، وكيف لو منعه ربُّه من ذلك.

وينبغي للماشي أن لا يتوجه، ولا يسعى إلى محرمٍ أو محذور، حتى لا يستعمل القوةَ الموهوبةَ له من ربه في معصيته، والعياذ بالله.

كما ينبغي له غضُّ الطَرْفِ، بما يليق به كمتدين ملتزمٍ بأحكام الله عز وجل، فلا يتخطاها إلى نظرةٍ حرامٍ، أو ازدراءٍ، أو احتقارٍ. كذلك يُستحب له أن يتذكر، أنَّ المواضعَ التي يتردد إليها، ويذكرُ الله تبارك وتعالى فيها، تشهد له بذلك يوم القيامة، تماماً كما تشهد بذلك الجوارح، ومن جملتها الأرجل.

ويُستحب أيضاً أن لا يُكثرَ الكلامَ مع الناس في الطريق، وينبغي الاحترازُ من ذلك، خاصة للفتيات، فإن فيه مفسدةً كبيرةً، كما يشهد بذلك الواقع. وكل هذه المستحبات، التي ذُكرت في طي الأسطر السابقة، نُصَّ عليها في رواية واحدةٍ جامعةٍ، عن مولانا الصادق عليه السلام حيث قال في حديث طويل:

«إن كنت عاقلاً فقدِّم العزيمةَ الصحيحة، والنيةَ الصادقة، من حين قصدك إلى أيٍّ مكان أردت، وأنْهَ النفسَ عن التخطي

إلى محذور، وكن متفكراً في مشيك، ومعتبراً لعجائب صنع الله عز وجل أينما بَلَغْتَ، ولا تكن مستهتراً، ولا تكن متبختراً في مشيتك، وغضَّ بصرك عما لا يليق بالدين، واذكر الله كثيراً، فإنه قد جاء في الخبر: أن المواضع التي يُذكر اللهِ فيها وعليها، تشهد بذلك عند الله يوم القيامة، وتستغفرُ لهم إلى أن يُدخلهم الجنة، ولا تُكْثر الكلامَ مع الناس في الطريق، فإنَّ فيه سوءَ الأدب، وأكْثرُ الطرق مراصدُ الشيطان ومتجرتُه، فلا تأمن كيده، واجعل ذهابَكَ ومجيئَكَ في طاعة الله، والمشيَ في رضاه، فإنَّ حركاتِك كلَّها مكتوبةٌ في صحيفتك، قال الله تعالى: **﴿يوم تشهد عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجُلُهم بما كانوا يعملون﴾**[١]، وقال الله عز وجل **﴿وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائرَه في عنقه﴾**[٢]. انتهى كلامُ الصادق عليه السلام، والله أعلم حيث يجعل رسالته[٣].

ويبقى في آداب المشي أمرٌ، لا بد أن نتطرق إليه، وهو أن كثرةَ المرافقين والتابعين لشخصٍ ما، قد تكون سبباً في فتنته وغروره، إضافة لضرره عليهم، حيث إن الكثير من

---

(١) سورة النور: الآية ٢٥.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٤.
(٣) بحار الأنوار: ج ٧٣ ص ٣٠١.

الزعماء والرؤساء يُحبونَ من الآخرين أن يتَّبعوهم، فقد ورد أن الأمير عَلَيْتَكِلاِ عندما كان راكباً ولحق به أصحابه، التفت إليهم، فقال: لكم حاجة؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحبُّ أن نمشي معك، فقال لهم انصرفوا، فإن خَفْقَ النعالِ خلفَ أعقابِ الرجال مفسدةٌ للقلوب... وفي رواية أنه قال لهم: انصرفوا فإن مشيَ الماشي مع الراكب مفسدةٌ للراكب ومذلةٌ للماشي[١].

وفي رواية أنه قال لحرب، عندما مشى معه لما ورد الكوفة قادماً من صفين، قال له: ارجع، فإنَّ مشيَ مثلِك، مع مثلي، فتنة للوالي، ومذلةٌ للمؤمن[٢].

وفي ذلك نصوص أخرى. ونكتفي بهذا القدر لأن فيه الكفاية إن شاء الله تعالى، إذ يظهر منها مجملُ مستحباتِ وآدابِ المشي ونلخصها بالتالي:

استحباب التواضع في المشي، وخفضِ الطَّرْفِ، والنظر إلى الأرض، وأن لا يتبختر ولا يتفاخر، إلا إذا كان في مواجهة الأعداء، كما يستحبُ المشيُ للنساء على جانبي الطريق، وتكره سرعةُ المشي، إلا لدفع الإعياء وعند

---

(١) ميزان الحكمة: ح ١٨٦١٥ (بتصرف).
(٢) المصدر نفسه: ح ١٨٦١٦.

الضرورة، واستحباب حملِ العصا، وإخلاصِ النية، وذكرِ الله، وعدمِ الإكثار من الكلام مع الناس في الطريق. . .

فصل: في السفر

بـاب
سفر الطاعات والمباحات وحرمته لضياع الدين

قال تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكُمُ الأرضَ ذلولاً، فامشوا في مناكبها، وكلوا من رزقه، وإليه النشور**﴾[1]. وقال، عزَّ من قائل: ﴿**وآخرون يضربون في الأرض، يبتغون من فضل الله**﴾[2].

منذ وُجد الإنسانُ على وجه الأرض وهو يسعى فيها لمعاشٍ أو رزقٍ أو صيدٍ أو أمنٍ ينشُدُه. وقد سخَّر الله تبارك وتعالى لنا الأرض لنمشي في مناكبها، ونبغي من رزقه، ونتأملَ في مخلوقاته، ونتفكرَ في روعة تدبيره. . . فنشكرهُ عز وجل، ونشتاقُ لعبادته.

---

(١) سورة المُلْك: الآية ١٥.

(٢) سورة المُزَّمِّلْ: الآية ٢٠.

وبما أنَّ من طبع الإنسان السفرَ والتِجوالَ في الدساكر والمدن، والهضاب والسهول، ويكثُرُ هذا أو يقِلُّ بحَسَبِ الأشخاصِ والحاجاتِ والظروف، فقد شرَّع الإسلامُ قوانينَ خاصةً تتعلق بالسفر، وما يُسنُّ فيه أو يُكره. . . لأن الشريعة الغراء، على صاحبها وآله أفضلُ السلام، لم تترك أمراً، صغيراً كان أم كبيراً، إلا وخصته بالعناية، وشملته بالتشريع، وأحاطته بالأحكام، رحمةً ورأفةً بالعباد، وتلطُّفاً بالمصالح الإنسانية، وتزكيةً للنفوس البشرية، وإعانةً لها في سلوكها التكاملي، للوصول إلى بارئها جلَّ جلاله.

ومن توجيهات الإسلام الخاصةِ في هذا الباب، عدمُ جواز السفرِ في غير الطاعات والمباحات، وعدمُ جوازه إذا أدَّى إلى معصيةٍ، أو ظلمٍ، أو اعتداءٍ على الأفراد والمجتمعات.

من هنا أفتى فقهاؤنا الأعلام، وعلماؤنا الأبرار بعدم جواز السفر إلى البلد الذي يُخشى فيه على الدين أو الإلتزام الشرعي، أو يُضطرُّ فيه إلى الوقوع في الحرج الشديد، المؤدي إلى تناولِ الحرام، كأكل الميتة مثلاً، أو شرب المسكر.

فالسفر الجائز، يكون لطلب العلم أو الرزق أو التجارة، أو الحج والزيارة، أو صلةِ رحمٍ أو أخٍ في الله، أو للترويح

عن النفس، لزيارة الحدائق أو الأنهار، أو البحار أو الطبيعة عامة، . . . كل هذا طبعاً دون اقترافِ الحرامِ أو مجاراةِ معصية، أو موافقةِ هوى النفس، ورفاقِ السوء في ما لا تُحمدُ عقباه. فقد رُوي عن قرةِ أعيننا وموضع افتخارنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يخرجُ الرجلُ في سفر يَخافُ منه على دينه وصلاته»[1].

وفي وصية النبي لإمامنا علي، عليهما صلوات العلي، أنه قال له: «يا علي، لا ينبغي للرجل العاقل، أن يكون ظاعناً إلا في ثلاث: مَرَمَّةٍ لمَعاش، أو تَزوُّدٍ لمعاد، أو لذةٍ في غير مُحرَّم. . . إلى أن قال: يا علي سِرْ سنتين، بِرَّ والديك، سر سنةً، صِلْ رَحِمَكَ، سِرْ ميلاً، عُدْ مريضاً، سِرْ ميلين، شيِّع جنازةً، سِر ثلاثةَ أميال، أجب دعوةً، سِر أربعةَ أميال، زر أخاً في الله، سِر خمسةَ أميالٍ، أجِبْ الملهوفَ، سِر ستةَ أميالٍ، أنصر المظلومَ، وعليك بالاستغفار»[2].

وهكذا نرى ضمن هذه الرواية الشريفة المبسوطة، أن الهدف من السفر يكون لأمرٍ حياتي لا بد منه، كطلب الرزق، أو أمرٍ اجتماعي لتمتين وتقوية العلاقات بين جماعةِ

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٤٩ ح ٥.
(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٤٨ ح ٣.

المسلمين، ومجتمعهم، . . . وهذا كلُّه يصُبُّ في ميزان الآخرة والفوز الحقيقي الباقي.

وليس من السفر الجائز في الإسلام الابتعادُ عن الناس والمجتمع، بحبس النفس في البيت، كما يفعل بعضُ الصوفية، أو الهربِ إلى الجبالِ والمغارات، كما يفعل بعضُ الرهبانِ المنسوبين زوراً إلى سيدنا عيسى على نبينا وآله وعليه السلام، حيث رُوي عن الرسول المصطفى ﷺ قوله: «ليس في أمتي رهبانية. . . »[1].

وكان علي بن جعفر الصادق عليه السلام سأل أخاه الإمامَ الكاظمَ عليه السلام عن الرجل المسلم: هل يَصْلُحُ له أن يسيحَ في الأرض أو يترهَّبَ في بيت لا يخرج منه؟ قال عليه السلام: لا ونهى عن ذلك[2].

وخلاصة ما تقدم معنا: عدمُ جوازِ السفر في غير الطاعاتِ والمباحات، لطلب الرزق أو صلةِ الإخوان والأرحام، أو عيادة المريض ومساعدة المحتاج. ويحرمُ السفر إلى بلادٍ يضيع فيها الدين، أو يُضْطرُّ فيها إلى ارتكابِ الحرام أو تركِ العبادة أو الانحراف عن الصراط المستقيم.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٤٩ ح ٤.
(٢) المصدر نفسه: ح ٧.

بـاب
استحبابُ السفر، وكونه يوم السبت

يُستحب السفرُ للقيام بالطاعات، والسعي في العبادات، والحج والاعتمار وزيارةِ ضرائحِ الأئمة الأطهار، ومقامات الأبرار، وقبورِ السلفِ الأخيار. كما يُستحب أيضاً السفرُ في الأمورِ المهمة من المباحات، إذا لم تصل إلى درجةِ الوجوب والإلزام، حيث يُصبحُ السعيُ لها فرضاً لا مناص منه. فقد رُوي عن شفيعنا ومولانا رسول الله ﷺ: «سافروا تصُحُّوا، وجاهدوا تغنموا، وحجُّوا تستغنوا»[١].

وعن مولانا الأمير عليه تحيةُ الله وسلامه، قوله: «ضمنتُ لستةٍ الجنة: رجلٍ خرج بصدقة فمات، فله الجنة، ورجلٍ خرج يعود مريضاً فمات، فله الجنة، ورجلٍ خرج مجاهداً في سبيل الله فمات، فله الجنة، ورجلٍ خرج حاجاً فمات، فله الجنة، ورجلٍ خرج إلى الجمعة فمات، فله الجنة، ورجل خرج في جنازة فمات، فله الجنة»[٢].

ففي هذا حثٌ على السفر لطاعةٍ أو مباحٍ... مع ما

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٥٠ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٥١ ح ٧.

يترتب على ذلك من مشقةٍ وكُلْفةٍ وغُربة... وشوقٍ وحنينٍ إلى الأهل والأصحاب. وهذا ما يشعر به كلُّ مهاجرٍ أو مسافرٍ، لأن الإنسان أليفٌ بطبعه وفطرته وأصلِ تكوينه الاجتماعي.

ورُوي عن النبي ﷺ: «موت الغريب شهادة»[١]. وعن الصادق عليه السلام قال: «ما من مؤمن يموت في أرض غربةٍ، يغيبُ عنه فيها بواكيه، إلا بكته بِقاعُ الأرض التي كان يعبدُ الله عز وجل عليها، وبكته أثوابُه، وبكته أبوابُ السماء التي كان يصعد فيها عملُه، وبكاه الملكان الموكلان به»[٢].

ويُستحب السفرُ يومَ السبت، دونَ الجمعةِ والأحد... هذا إذا كان السفر باختياره. ويُفهم من بعض النصوص الداعية إلى ذلك، أن المسلمَ ينبغي له تفريغُ يوم الجمعة للعبادة والسؤال عن أمرِ الدين والتفقه... لأن أيام الأسبوع الأخرى هي أيامُ عمل... فيبقى له هذا اليومُ المبارك، لمحاسبة نفسه والتفرغ للعبادة والصلاة والدعاء المستحب في هذا اليومِ الشريف، يوم الجمعة، العيد الأسبوعي للمسلمين.

أما يومُ الأحد، فهو يومُ بني أمية، كما ذكر

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٥١ ح ٦.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٥٠ ح ٣.

الصادقُ عليه السلام ، حيث ينبغي لنا أن لا نُجاريَهم في تقاليدهم وعاداتهم.

ونحن نلمُسُ اليومَ، وخاصةً في لبنان، أن يوم الأحد هو يومُ العطلة، تقليداً لأهل الغرب من الأمريكيين والأوروبيين، وهذا اليوم يكادُ أن يُتبنىً في بلاد المسلمين كيوم عطلةٍ أسبوعي، إن لم يكونوا قد فعلوا وسقطوا في هذا الفخ، كما نرى في لبنان مثلاً، وبالأخص بيروت، حيث إنَّ بعض المدن في الجنوب والبقاع، أخذت ترجعُ إلى رشدها وأصالتها، فتُعطلُ يوم الجمعة المبارك، وتُهمِلُ التعطيلَ في يوم الأحد.

وهذا ما يجب أن نسعى إليه كأفراد وجماعات، وأسواقٍ وتعاونيات، وتجار ومؤسسات، وموظفين ومدارس، في مدينة بيروت خاصة، وفي كل لبنان. فالأئمة عليهم السلام أشاروا إلى التفرغ للعبادة يومَ الجمعة، والسفرِ يومَ السبت.

وفسَّر الإمام الصادق عليه السلام قولَ الله عز وجل: **﴿فإذا قُضيت الصلاةُ، فانْتَشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**[1] فقال: الصلاةُ يوم الجمعة، والانتشار يومَ السبت.

وفي نص آخر أنه قال عليه السلام : «أفٍ للرجل المسلمِ لا

(١) سورة الجمعة: الآية ١٠.

يُفـرِّغُ نفسـه فـي الأسبـوع يـوم الجمعـة لأمـر دينـه، فيسـألُ عنه»[1]، وعنه أيضاً: «لا تخْرج يومَ الجمعة في حاجة، فإذا كان يومُ السبت، وطلعت الشمس، فاخرج في حاجتك»، وعنه عليه السلام: «السبتُ لنا، والأحد لبني أمية»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «اللهم بارك لأمتي في بكورها، يومَ سبتها وخميسها»[3].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «مَنْ أراد سفراً، فليسافر يومَ السبت، فلو أن حجراً زال عن جبل في يوم سبت، لردَّه الله عز وجل مكانه»[4].

وبهذا تكون الآدابُ والمستحباتُ التي مرَّت معنا هي: استحبابُ السفر للطاعات والمهمِ من المباحات، وأن يكون ذلك يومَ السبت وليس الجمعةَ أو الأحد، إلا في حال الاضطرار أو الحرج.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٥٢ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٥٣ ح ٤ وح ٥.
(٣) المصدر نفسه: ح ٦.
(٤) المصدر نفسه: ص ٢٥٢ ح ٣.

بــاب
أيام يُستحب أو يُكره فيها السفر

ذكر الحر العاملي في وسائل الشيعة، كراهةَ اختيار يوم الاثنين للسفر وطلب الحوائج، إلاّ أن يقرأ في صلاة الصبح سورة الإنسان ﴿**هل أتى**﴾، واستحبابَ اختيارِ الثلاثاءِ لذلك، أي للسفر أو طلبِ الحوائج. والله أعلم، بالسرِّ الغيبيِّ في ذلك، ولعلَّه، وكما ذُكر في الجزء الثاني من الخِصال، أن الله تبارك وتعالى، قد علم اليومَ الذي يُقبضُ فيه نبيُّه ﷺ، واليومَ الذي يُظلمُ فيه وصيُّه، فسماه باسمهما: «الاثنين»[1].

وروى عليُّ بن جعفر، رضوان الله عليه، أنَّ رجلاً جاء إلى أخيه الإمامِ موسى بن جعفر الكاظمِ عليه السلام فقال: إني أريد الخروج، فادع لي، فقال له عليه السلام: ومتى تخرج؟ قال الرجل: يومَ الاثنين، فقال له عليه السلام: لِمَ تخرجُ يومَ الاثنين؟ قال: أطلب البركة، لأنَّ رسول الله ﷺ ولد يومَ الاثنين، قال عليه السلام: كذَبوا، ولد رسول الله ﷺ يومَ الجمعة، وما من يوم أعظم شؤماً من يوم الاثنين، يومٌ مات فيه رسول الله ﷺ، وانقطع فيه وحيُ السماء، وظُلمنا فيه حقَّنا، ألا

(١) الخصال: نقلاً عن وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٥٣ الهامش.

أدُلُّك على يومٍ سهلٍ ليِّن، ألان الله لداود فيه الحديد؟ فقال الرجل: بلى جُعلتُ فداك، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أخرج يوم الثلاثاء[1].

أما ما ذُكر من رفعِ الكراهةِ، في السفر يومَ الاثنين، إذا قرأ سورةَ ﴿هل أتى﴾، فلما رُوي عن علي العطار حيث قال: «دخلتُ على أبي الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ يومَ الثلاثاء، فقال: لم أَرَكَ أمس، قلتُ: كرهتُ الخروجَ في يوم الاثنين، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا علي مَنْ أحبَّ أن يقيَه الله شرَّ يوم الاثنين، فليقرأ في أول ركعةٍ من صلاة الغداة، **﴿هل أتى على الإنسان﴾**، ثم قرأ أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: **﴿فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم، ولقَّاهم نضرةً وسروراً﴾**[2].

هذا لمن عرف كراهيةَ السفر يومَ الاثنين، ثم اضطر لذلك. وما تضمَّنَ الرخصةَ في السفر يومَ الاثنين، محمولٌ على الجواز أو التقية، كما نصَّ صاحبُ الوسائل[3].

ويُكره السفرُ أيضاً يومَ الأربعاء، خاصةً الأربعاء الأخيرة من الشهر، فقد وقعت في هذا اليوم أحداثٌ تاريخيةٌ هامة،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٥٥ ح ٣.
(٢) المصدر نفسه: ح ٤. والآية من سورة الإنسان/ ٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ص ٢٥٦.

فيها الهلاكُ والفناء. ففي حديث طويل ومُفصَّلٍ عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سُئل عن يوم الأربعاء، والتطيُّر منه، قال: هو آخرُ أربعاءٍ في الشهر، وهو المحاق، وفيه قَتَلَ قابيلُ هابيلَ أخاه، وفيه أُلقي إبراهيمُ في النار، وكانوا قد وضعوه في نفس هذا اليوم في المنجنيق، ويومَ الأربعاء أغرق الله فرعون، وجعل قريةَ لوطٍ عاليها سافلَها، وأرسل عز وجل الريحَ على قومِ عاد، ويومَ الأربعاء سلَّط الله على نمرودَ البقَّة، ويوم الأربعاء طلب فرعونُ موسى ليقتلَه، ويومَ الأربعاء أمر فرعونُ بذبحِ الغلمان، وفي نفس هذا اليوم، قُتل يحيى بنُ زكريا، وأظلَّ قومَ فرعون أولُ العذاب، وخسف الله بقارون، وأُدخِلَ يوسفُ السجنَ، ويومَ الأربعاء أيضاً وأيضاً، قال الله تعالى: **﴿إنا دمَّرناهم وقومَهم أجمعين﴾**[1]. وأخذَتهُم الصيحةُ، وعقروا الناقة، وأمطر عليهم حجارةً من سجيل... وفي يوم الأربعاء شُجَّ النبيُّ، وكُسِرتْ رُباعيَّتهُ[2].

وكان قد رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «آخرُ أربعاء في الشهر، يومُ نحسٍ مستمر»[3].

---

(١) سورة النمل: الآية ٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٥٦ ح ١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٥٧ ح ٢.

وبالرغم مما ذُكر من كراهةِ السفرِ وطلبِ الحوائج يومَ الأربعاء، لكنْ يُستحبُ تركُ التطير، والخروجُ يومَ الأربعاء توَكلاً على الله عز وجل، حيث رُوي عن رسول الله ﷺ: «كفارة الطَيْرَة التوكل»[1]. وعنه ﷺ: «إذا تطيَّرتَ فامضِ، وإذا ظننتَ فلا تقضِ»[2].

وعن الصادق عليه السلام، في دفع الأوهام والوساوس والاتكال على الله، قال: «الطَيْرةُ على ما تجعلُها، إنْ هوَّنْتها تهوَّنَتْ، وإن شدَّدتَها تشدَّدَت، وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً»[3].

ورُوي عن أبي الحسن موسى الكاظم الدعاءُ المستحبُ التالي عند التطير: «اعتصمتُ بك يا ربِّ من شرِّ ما أجدُ في نفسي فاعصمني من ذلك»[4].

ورُوي أن يوم الجمعة يومُ خِطبة ونكاح[5].

وذُكر استحبابُ اختيارِ يوم الخميس أو ليلةِ الجمعةِ أو

---

(1) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٦٢ ح ٣.
(2) المصدر نفسه: ص ٢٦٣/ ٥.
(3) المصدر نفسه: ص ٢٦٢ ح ٢.
(4) المصدر نفسه: ص ٢٦٣ ح ١.
(5) المصدر نفسه: ص ٢٥٨ ح ١.

يومِ الجمعة بعد الصلاة للسفر، وكان رسول الله ﷺ يُسافرُ يومَ الخميس[1].

وبذلك تكون المستحباتُ التي مرَّت معنا كالتالي:

استحبابُ السفر يومَ الثلاثاء، وكراهةُ ذلك الاثنين إلا إذا قرأ سورةَ الإنسان.

كراهةُ السفرِ الأربعاء ولا بأس به لمخالفة المتشائمين.

بـاب
استحباب السفرِ عند السحر أو الفجر والغسلِ عندَه

جرت عادةُ الناس في بلادنا، عندما كانوا يسافرون على الإبل والدواب، أن يكونَ سفرُهم في الليل، أو عند وقت السحر، أو باكراً عند الصباح. وما زال جزءٌ كبيرٌ من هذه العادة ملازماً لنا حتى الآن. وهذا، ولله الحمد، ما دعت إليه السنَّةُ المباركةُ، عن أصفياء الله وأحبائه، حيث ورد عنهم، استحبابُ السير في آخر الليل أو في الصباح الباكر، وكراهةُ

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٥٩ ح ١.

السفر في أول الليل، وربما كان ذلك نتيجةَ أن الإنسان في آخر النهار أو أولِ الليل يكون متعباً ومنهكاً وميَّالاً إلى النوم والراحة أكثرَ من العمل والجهد.

نعم لو استراحَ في أول الليل لساعات محدودةٍ، كان بإمكانه مواصلةُ واستئنافُ السفر عند السحر مثلاً، وهو الثُلثُ الأخيرُ من الليل. فقد رُوي عن مولانا الصادق عليه السلام: «الأرض تُطوى في آخر الليل»[1].

وسأل حمرانُ بن أعين الإمام الباقر عليه السلام عن قول الناس: إن الأرض تُطوى لنا بالليل، فكيف تُطوى؟ فقال عليه السلام: «هكذا» ثم عطفَ ثوبَه[2].

ورُوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام عندما بعثه على اليمن فقال له: «ما حارَ مَن استخار، ولا ندمَ مَنْ استشار، يا علي عليك بالدَّلجة[3]، فإنَّ الأرض تُطوى بالليل ما لا تُطوى بالنهار، يا علي أغدُ على اسم الله تعالى، فإن الله تعالى بارك لأمتي في بكورها»[4].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٦٤ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ح ٥.
(٣) الدلجة: السفر في الساعة الأخيرة من الليل.
(٤) المصدر نفسه: ص ٢٦٥ ح ٨.

وفيما أوصى لقمانُ ابنَه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... وإياك والسيرَ في أول الليل، وسر في آخره»[1].

وفي نص مباركٍ من نهج البلاغة الشريف، يُوضِّح السرَّ في هذه الاستحبابات والمكروهات، وكنا قد ذكرنا بعضها قبل قليل، فقد ورد عنه سلام الله عليه، في وصيته لمعقِلْ بن قيس الرياحي، حين أنفذه إلى الشام، في ثلاثة آلاف: «رفِّه في السير، ولا تسِرْ في أول الليل، فإن الله جعله سكناً، وقدَّره مقاماً لا ظعناً[2]، فأرح فيه بدنك، وروِّح ظهرَك، فإذا وقفتَ حين ينتطحُ السحرُ، أو حين ينفجر الفجر، فسر على بركة الله»[3].

ومن الأمور الهامة التي ينبغي علينا الإعتناءُ بها، كتابةُ الوصيةِ عند إرادة السفر، وذلك على نحو واضحٍ ومُفصَّلٍ، من حقوقِ الناس وأماناتهم ومستودعاتهم وديونهم وما تعلق بالذمة، أو انشغلت به. ذلك أن المسافر لا يعلم عاقبةَ أمرِه ومآلَه وما يجري عليه أثناءَ سفره من أخطارٍ وأهوالٍ ومفاجآت... وهو في كل ساعة من ساعات عمره معرضٌ

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٦٥ ح ٩.
(٢) الظعن: الارتحال والسفر.
(٣) المصدر نفسه: ح ١٠.

للموت. . . فكيف إذا كان قاطعاً للفيافي والجبال والبحار، على متن الخيولِ والبغال والسفن، وفي هذه الأيام، بواسطةِ السياراتِ والطائرات والقطارات، وغيرها من وسائل النقل، التي وإن توفرت فيها أسباب الراحة والأمان، إلا أن الخطر ما زال قائماً، وعند وقوع المكروه لا سمح الله يكون أشمل وأعمَّ فالمسافر يملِكُ الآن أمرَ نفسه وداره وماله وأهله، ولكنَّها قد تكون الساعات الأخيرة بينهم. . . فلا يعود إليهم أبداً.

كما يُستحبُ إضافةً إلى الوصية، الدعاءُ والغسلُ، ولا بأس أن يكون الغسلُ هنا بعنوان التوبةِ والإنابة والرجوع إلى الله تبارك اسمه. حيث رُوي عن مولانا الصادق عليه السلام قولُه: «مَنْ ركب راحلةً فليوصِ»[1].

ورُوي: «أن الإنسانُ يُستحب له إذا أراد السفرَ أن يغتسلَ ويقولَ عند الغسل: بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

وعن العارف الكامل، قدوةِ السالكين، ومريدِ العارفين،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٦٧ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٦٨ ح ٢، وللدعاء بقية في كتاب: الأمان من الأخطار: ص ٢٠.

فخر علماء الطائفة أجمعين، مولانا السيد ابن طاوس قولُه: «وإذا دخلتُ إلى موضعِ الاغتسال، قصدتُ بالنية أني أغتسلُ غسلَ التوبة، وغسلَ الحاجة، وغسلَ الزيارة، وغسلَ الاستخارة، وغسل الصلاة، وإن كان يومُ الجمعة ذكرتُ غسلَ الجمعة، وإن كان عليَّ غسلٌ واجبٌ ذكرتُه، وكلٌ من هذه الأغسال، وقفتُ له على رواية يقتضي ذكرُه. . . »[1].

وأخيراً، ومن باب التذكير نوجز الاستحبابات التي وردت في هذا الباب، وهي استحبابُ السير في آخر الليل أو عند الصباح الباكر، وكراهةُ السفرِ في أول الليل، واستحبابُ الوصيةِ والغسلِ والدعاء لمن أراد السفر.

باب
الصدقة والصلاة والذكر عند السفر

لا يخفى، أنَّ الصدقة تردُّ القضاءَ المحتومَ بعدما أُبرم إبراماً. ولا يخفى أيضاً، أن الصدقة تُساهم في تهذيب الروح، والتوجهِ إلى الله، ورِقَّةِ القلب، كما يشهد بذلك الواقع. إذ يُستحبُ افتتاحُ السفر بالصدقة، ويجوزُ السفر

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٦٨ ح ٣.

بعدها، في أي وقت شاء، حتى في الأوقات والأيام المكروهة، التي كنا قد ذكرناها سابقاً. وهذا كلُّه بفضل الصدقة، وأسرارها. فقد رُوي عن الصادق عليه السلام: «تصدَّق وأخرج أيَّ يومٍ شئت»[1].

وكان بعضُهم يخشى سوءاً قد يقعُ عليه، نتيجةَ خبرته في النجوم، فشكا ذلك إلى أبي الحسن الكاظم عليه السلام فقال له: «إذا وقع في نفسك شيءٌ، فتصدّق على أول مسكين، ثمّ امضِ، فإنَّ الله يدفعُ عنك»[2].

ومن آداب السفر حمل العصا من لوزٍ مر، وقد يُظنُّ أن ذلك لحماية النفس من الهوام والبهائم، فقط، ولكنْ ما يُفهم من الروايات أنها تشمُل ذلك، وأموراً أخرى، كنفي الفقر، وحصول الأنس.. حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن آدم مَرِضَ مرضاً شديداً، فأصابته وِحشة فشكا ذلك إلى جبرائيل عليه السلام فقال له: اقطع واحدةً منها، وضُمَّها إلى صدرك، ففعل ذلك، فأذهب عنه الوحشة»[3].

وعلى نحو العموم، فإن التعصيَ، أي حملَ العصا، من

---

(1) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٧٢ ح ١.
(2) المصدر نفسه: ص ٢٧٣ ح ٣.
(3) المصدر نفسه: ص ٢٧٤ ح ٤.

المستحبات مطلقاً، وليس هنا مجالُ التفصيل، ونكتفي بذكر بعضِ النصوصِ المباركة في استحباب حمل العصا، في السفر والحضر، والصغر والكبر. فقد رُوي عن رسول الله ﷺ قوله: «حمل العصا، ينفي الفقرَ، ولا يُجاوِرُهُ شيطان»[١]. وعنه ﷺ: «تعصَّوا، فإنها من سنن إخواني النبيين، وكانت بنو إسرائيل، الصغارُ والكبارُ، يمشون على العصا حتى لا يختالوا في مشيهم»[٢].

ومن المستحبات التقربُ إلى الله تعالى، بصلاةٍ من ركعتين مثلاً، أو من أربع ركعات حسبما ورد، عند إرادة السفر، ويجمعُ الأهلَ والعيالَ بعدها. ويدعو بما شاء، ويكِلُ أمره إلى رب العزة جلَّ وعلا. فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «ما استخلف رجلٌ على أهله بخلافةٍ أفضلَ من ركعتين يركَعُهُما إذا أراد الخروجَ إلى سفر، ويقول: اللهم إني أستودعك نفسي وأهلي ومالي، وذريتي ودنياي وآخرتي، وأمانتي وخاتمةَ عملي، فما قال ذلك أحدٌ إلا أعطاه الله عز وجل ما سأل»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٧٥ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ح ٢.
(٣) المصدر نفسه: ح ١.

وفي نص مبارك: أن يقرأ في كل ركعة، فاتحةَ الكتاب، وقل هو الله أحد[١].

ومن المهمات والمستحبات في آداب السفر، أن يقف المسافرُ على باب داره، ويقرأ سورة الفاتحة المباركة أمامه، وعن يمينه، وعن شماله، وكذلك يفعلُ بآيةِ الكرسي والمعوذتين والإخلاصِ، وأن يدعوَ بما يتسيرُ له. وهذا العمل لا يتطلبُ منه وقتاً أو جهداً طويلين، ولكنَّ دلالاته الروحية والسلوكية والتربوية عظيمةٌ جداً، فضلاً عن آثاره الغيبية والعطايا الربانية التي لا يدركها عقلُنا القاصر، فهو تبارك وتعالى المُطَّلعُ على ما لم يطَّلعْ عليه أحدٌ غيره.

ومن جملة الذكر والأدعية الواردة قبل الخروج من المنزل، وهي كثيرةٌ، نذكر منها أن يقول مثلاً: «الله أكبر» ثلاث مرات، «بالله أخرج وبالله أدخل وعلى الله أتوكل» ثلاث مرات، «بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله...» ويُستحب الدعاء بدعاء الفرج المعروف الذي أوَّله «لا إله إلا الله الحليم الكريم...»[٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٨٦ ح ٣.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٧٧ ح ٢.

وورد أن العبد إذا خرج من منزله، عرض له الشيطان، فإذا قال: «بسم الله» قال له الملكان: كُفيتَ، فإذا قال: «آمنتُ بالله» قالا: هُديتَ، فإذا قال: «توكلتُ على الله» قالا: وُقيتَ، . . . . فيقول بعض الشياطين لبعض: كيف لنا بمن هُدي وكفي ووُقي[1].

ومن آداب السفر أيضاً، استحبابُ التسميةِ عند الركوب والدعاءِ بالمأثور، وتذكُّرِ نعمةِ الله فيما يسَّر لنا من وسائل النقل، وأن يقرأ آيةَ السخرةِ وهي: **﴿سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون﴾**[2].

ويُستحب الإمساكُ بالركاب[3] للمؤمن، وهكذا فَعَلَ عليٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبي ﷺ، وفعل الأصبغُ بن نباتة، بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ . . . وربما يُساوي ذلك في عصرنا اليوم أنواعَ الإكرام: من الوصول معه إلى باب وسيلة النقل أو فتحِ الباب مثلاً، أو إغلاقِه بعد تسوية أمورِه، أو إعانتِه في بعضِ شؤونه.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٧٨ ح ٣.
(٢) سورة الزخرف: الآية ١٣.
(٣) الركاب من السرج: ما يضع فيه الراكب رجله.

وأخيراً، نلخص ما مرَّ معنا من المستحبات، باستحباب افتتاح السفر بالصدقة، وحمل العصا من لوزٍ مر، والصلاة ركعتين، والوقوف على باب الدار لقراءةِ سورةِ الفاتحة وآيةِ الكرسي والمعوذتين والإخلاص، من الأمام واليمين والشمال، والدعاء بما تيسَّر مما ورد، والتسمية عند الركوب، وقراءةِ آية السخرة...

باب
استحبابُ ذكرِ الله للمسافر واستحبابُ توديعه

هنيئاً لِمَنْ استطاعَ أن يبقى دائمَ التذكرِ لربه عز وجل **﴿أولئك لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾**[1]. والذين يعتصمون بذكر الله، أولئكُ يُرزقون الأمنَ في الدنيا قبلَ الآخرة، ألا بذكر الله تطمئنُ القلوب.

اشتهر استحبابُ ذكرِ الله وتسبيحه وتهليله في المسير مطلقاً، والتسبيح عند الهبوط، والتكبيرِ عند الصعود،... والتهليل عند كل مكانٍ مشرف.. وهو المكان العالي

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

المرتفع. فقد كان رسول الله ﷺ في سفره، إذا هبط سبَّح، وإذا صعد كبّر[١].

وفي رواية: إذا كنت في سفر فقل: «أللهم اجعل مسيري عبرا، وصمتي فكرا، وكلامي ذكرا»[٢].

وهناك أدعيةٌ مختلفةٌ مستحبة أثناءَ المسير. وهذه المستحبات يُمكنُ أن تُذْكَرَ إذا كنا في السيارة أو الحافلةِ أو القطارِ أو الطائرة...

ويستحب عند مواجهة المخاطر أو الصعوبات في السفر الاستعاذةُ بالله تعالى، وتلاوةُ آيةِ الكرسي عند المخاطر، والذكرُ والدعاءُ وتسبيحُ الزهراء عليها السلام، وقراءةُ الآية المباركة: **﴿ربِّ أدخلني مُدخلَ صدقٍ، وأخرجني مُخرجَ صدقٍ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾**[٣].

كما تُستحب التسمية عند كل جسر، وتلاوةُ القَدْرِ حال المشي وعند الركوب، وذكرُ الله دائماً.. فعن مولانا زين العابدين عليه السلام قال: «لو حجَّ رجلٌ ماشياً فقرأ: إنا أنزلناه،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٨٥ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ح ٢.
(٣) المصدر نفسه: ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨. والآية من سورة الإسراء/ ٨٠.

ما وجد ألمَ المشي»[1].

وعلى نحو الخصوص فإنَّ مَنْ يُسافرُ وحدَه، أو يضطرُ إلى ذلك، أو يبيتُ وحدَه، فهو محتاجٌ أكثر إلى التثبيت والأنس، حتى لا تعرضَ له الأوهام أو لا تنالَ منه الوَحْدة. فقد ورد الاستحبابُ له خاصة، بضرورة الدعاء والذكر. . . . ويستحبُ له تقديمُ الرِجْل اليُمنى عند دخول مكانِ مبيته، واليُسرى عند الخروج.

ومن جملة الأدعية الواردة في حق المسافر وَحْدَه: «اللهم آنِسْ وَحْشتي، وأعني على وَحْدتي، وأدِّ غَيبتي»[2].

ومن جملة الآداب الاجتماعية في الإسلام، استحبابُ توديعِ المسافر، أي تشييعه، والدعاءِ له. . وهذا يُشير إلى عظيمَ العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامي الواحد، وإلى أواصر الحب والإخلاص والمشاركة التي تنشأ بينهم أو ينبغي أن تكون كذلك.

وهذه العاداتُ ما زالت حتى الآن معروفةً في قرانا ومناطقنا، خاصة عند وداع المسافرين إلى الحج أو الزيارة. فينبغي علينا الحفاظ على هذه السنن والمستحبات. . . حتى

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٢٨٩ ح ٣.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٨٩ ح ١.

أن الأمم والشعوبَ غيرَ الإسلامية تُقلِّدُنا في ما يُشبه ذلك، وهو ما يُعرفُ اليومَ بنظام البروتوكول المُتَّبع في توديع الشخصيات الزائرة والهامة... وهي أشمل في الإسلام لكل الأفراد، وأن ندعوَ لهم بصدقٍ وليس برياء ومجاملة.

والمشهور في كتب السيرة أن علياً عليه السلام شيَّع أبا ذر، وشيَّعه معه الحسنُ والحسين عليهما السلام وعقيلُ بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، وعمار بن ياسر، وقال أمير المؤمنين آنذاك: «ودِّعوا أخاكم، فإنه لا بدَّ للشاخص أن يمضي، وللمشيع أن يرجع»[1].

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ودَّع المؤمنين قال: «زوَّدكم الله التقوى، ووجَّهكم إلى كل خير، وقضى لكم كلَّ حاجة، وسلَّم لكم دينكم ودُنياكم، وردَّكم سالمين إلى سالمين»[2].

وودَّع الصادق عليه السلام رجلاً فقال: «أستودعُ الله دينكَ وأمانتَكَ، وزوَّدك زادَ التقوى، ووجَّهك الله للخير حيث توجهتَ». ثمّ التفت إلى الحاضرين وقال: هذا وداعُ رسولِ الله لعلي عليه السلام إذا وجَّهه في وجهٍ من الوجوه[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٢٩٧ ح ١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٩٨ ح ٣.

وبذلك، تكون المستحباتُ والآداب التي ذكرنا كثيرةً ومنها: ذكرُ الله مطلقاً في السفر، وخاصةً عند المخاطر والصعوبات، حيث يستعيذُ ويقرأ القدر، ويتأكد ذكرُ الله لمَنْ اضطر أن يُسافرَ وحدَه، واستحبابُ تشييعِ المسافر والدعاءِ له...

بــاب
استحبابُ الرفقة في السفر وصفاتُهم

من آداب السفر في الإسلام، أن لا يسافرَ المرءُ وحدَه بل يصطحبَ معه آخرين، يأنسُ بهم، ويستعين. فالمسافر وحدَه مُعرضٌ للمخاطر والحوادث الطارئة... فقد يقع أو يُصابُ أو يمرضُ أو يستوحشُ أو يضعُفُ أو تتغيرُ عليه الأجواءُ، أو البدنُ... فهو بحاجة للمعين والمساعِد والأنيس.

وقد ورد في وصية رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «لا تخرج في سفرٍ وحدك، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد....»[1].

ولعـن رسـول الله ﷺ ثـلاثـة: «الأكـل زاده وحـده،

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٠٠ ح ٥.

والنائم في بيت وحده، والراكبَ في الفلاة وحده»[١].

وقد تكون المصلحةُ أحياناً في تكثير عدد الرفقاء في السفر، ولا بأس بذلك، ما لم يؤد إلى الفوضى، وكثرةِ الآراء المتناقضة، التي تُعطِّلُ أهدافَ السفر، وفوائده، . . . ونحن نلاحظُ، حالةَ الفوضى والارتباك التي تسودُ الزوار والحجاج منا خاصة نتيجة عدمِ انسجام المسافرين مع بعضهم، أو اختلاف آرائهم، وتفرقِ مصالحهم.

وورد عن مولانا المصطفى ﷺ: «أحبُّ الصحابةِ إلى الله تعالى أربعةٌ، وما زاد قومٌ على سبعة إلا زاد لغَطُهُمْ»[٢].

وتخصيص الأربعةِ من بين سائر الأعداد، لا بد وأن يكون له فائدةٌ، والذي ينقدح فيه، أن المسافر أحياناً يحتاج إلى التردد في حاجته وإلى حفظ متاعِه، فإن ذهب منفرداً في حاجته تعرض للخطر، وإن صحبه واحدٌ من ثلاثة مثلاً، بقي من يحفظ المتاعَ وحيداً. وهذا ما ذكره مولانا الفيضُ الكاشاني في محجته البيضاء[٣].

ومن الطبيعي اختيارُ أهلِ الإيمان والتوثيق والأمانةِ،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣٠٠، ح ٧.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢٩٩ ح ٢، وص ٣٠٤ ح ١.
(٣) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٥٩ بتصرف.

ليكونوا رفقاء السفر، وأعوانَه، حيث ذُكر عن رسول الله ﷺ قولُه: «الرفيقُ ثم الطريق»[1].

إذ نحن بحاجة لأمانته وعونِهِ وخُلُقِهِ وصبرِه وجَلَدِهِ وحسْنِ عِشْرَتِهِ... فليكن الصاحبُ في السفر، ممن نفتخر به لو نُسِبَ إلينا أو نُسِبْنا إليه، أو شوهد معنا، وليكن عارفاً لقدرنا وحقنا، حتى لا يُسيء دون قصد، أو يتجرأ دون تعمدٍ أو ينسبَ إليك وهو مَعيبٌ، أو لا يرفُقَ بك حيث تحتاجُ إلى ذلك.

وكان الصادق عليه السلام يقول: «اصحبْ مَنْ تتزينْ به، ولا تصحبْ مَنْ يتزينْ بك»[2].

وعن المصطفى ﷺ قال: «ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمُهُما أجراً، وأحبُّهُما إلى الله، أرفقَهُما بصاحبه»[3]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا تصحبنَّ في سفر مَنْ لا يرى لك من الفضل عليه، كما ترى له عليك»[4].

ويُكره سبقُ الرفيق وتركُه وحدَه، حتى لا يستوحش أو

---

(١) وسائل الشيعة: ص ٣٠٤ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠١ ح ١.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٠٢ ح ٢.
(٤) وسائل الشيعة: ح ٨ ص ٣٠٢ ح ٣.

يُغبنَ أو يُستفردَ فيقعَ في الخطر، ويكونَ مَعْرِضةً لقطاع الطرق... وتفوت بذلك فائدةُ الرفقة في السفر... بل يمشي الجميعُ مُترافقين أو شبهَ متجاورين في موكب واحد، فقد ذُكر عن الصادق عليه السلام قولُه: «مَنْ صحب أخاه المؤمنَ في طريق فتقدَّمه بقدر ما يغيبُ عنه بصرُه، فقد أشاط بدمه، وأعان عليه»[1].

ومن المستحبات والسنّةِ في الإسلام، أن يخلطَ المسافرون زادَهم، بحيث يكون كالزاد الواحدِ بينهم... وهذا له عظيمُ الأثر في نفوسهم، من حيث التنازلُ عن حقوقهم، وعما خزنوه أو هيَّؤوه من طعام وحلوى لسفرهم... حيث أصبحوا كالشخص الواحد، يأكلون ما يشتهون، ولا يتفاضل أحدٌ منهم على أحد... بل الجميع يؤثر الجميعَ على مصلحته الخاصة.

وهذا فعلاً ما نراه، ونرى آثاره، في قوافِل الحجاج والزوار الكرام... حيث يخلِطون مؤونتَهم عند أول محطة ينزلون بها، ولا يُحجبُ شيءٌ عن أحد، ولا يُمنعُ شيءٌ عن رفيق. وهذا من بركة الإسلام، وخيره، التي يمتاز بها عن غيره، فـ ﴿**يا أيها الذين آمنوا، استجيبوا لله وللرسول إذا**

(1) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣٠٤ ح ٣.

دعاكم لما يحييكم﴾[1]. فقد رُوي عن رسول الله ﷺ قوله: «مِنَ السُّنةِ إذا خرجَ القوم في سفر، أن يخرِجوا نفقَتَهم، فإنَّ ذلك أطيبُ لأنفُسهم، وأحسنُ لأخلاقهم»[2].

فخلاصة ما ورد معنا:

أولاً: كراهةُ السفرِ وحيداً، ولا بأس بكونهم أربعة أو أكثر إلا مع زيادة لَغَطِهِمْ.

ثانياً: كراهةُ الابتعادِ كثيراً عن الرفقاء.

ثالثاً: كونهم من أهل الإيمان والخُلُق.

رابعاً وأخيراً: خلطُ النفقةِ والزادِ مع بعضها.

هذا ما أوصى به الإسلام، وتخلفت عنه الحضاراتُ الأخرى، وحتى يومنا هذا.

بـاب
استحباب صحبة المثيل والنظير في السفر

من الآداب الدقيقة والهامة، التي تنبَّه إليها الإسلامُ، دونَ غيره من الحضارات والأديان، أن يُسافرَ الإنسانُ مع نظرائه

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٢) وسائل الشيعة: ص ٣٠٤ ح ١.

وأمثاله من أهل المال واليُسْر... فلا يصطحبُ الغنيَّ فيُذَلَّ أمامه، ولا الفقيرَ فيُذلَّه، وإن لم يقصد ذلك.

فالمرءُ وشركاؤه في السفر، لو كانوا متماثلين ومتشابهين في الرزق والمال، فسينفقون ويشترون المتشابهَ، فلا يتألمون ولا يتحاسدون، ولا يمقتون ولا يغارون. أما لو تيسَّر لبعضهم الغنى الفاحش، والمالُ الكثير، والمتاعُ النفيس، فسيتركُ هذا أثراً سيئاً على بعضهم، أو غَيْرَةً، أو حسرةً مخفية، أو أذِيَّةً معنوية، أو غماً مستوراً.

فالمستحبُ اصطحابُ النظير في الإنفاق، وليس مَنْ هو دون أو أعلى، حتى لا يُذلَّ المؤمنُ بإكرام الغير وعطائه، وحتى لا يُحرجَ في قلة ماله وإنفاقه... فإن أنفق يكون قد تكلَّف فوقَ طاقته، وإن أمسك وصبر يكون ذلك حسرةً في نفسه. فقد جاء شِهابُ إلى الإمام الصادق عليه السلام، فقال: قد عرفتَ حالي، وسعةَ يدي، وتوسعي على إخواني، فأصحبُ النفرَ منهم في طريق مكة، فأوسِّعُ عليهم، فقال الصادق عليه السلام: «لا تفعلْ يا شهاب، إن بسطتَ وبسطوا أجحفتَ بهم، وإن هم أمسكوا أذللتهم، فاصحَبْ نظراءَك، اصحَبْ نظراءَك»[1].

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٠٢ ح ١.

وسأل أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام : يخرجِ الرجلُ مع قوم مياسير، وهو أقلُّهم شيئاً، فيُخرِجُ القومُ النفقةَ، ولا يقدرُ هو أن يُخرِجَ مثل ما أخرجوا؟ فقال عليه السلام : «ما أُحبُّ أن يُذِلَّ نفسَه، ليَخْرُجْ مع مَنْ هو مثلُه»[١].

وعن حسين بن أبي العلاء، قال: خرجنا إلى مكة، نيفاً وعشرين رجلاً، فكنتُ أذبح لهم في كل منزل (أي محطةٍ) شاةً، فلمَّا أردتُ أن أدخلَ على أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين، وتُذِلُّ المؤمنين؟ قلتُ: أعوذ بالله من ذلك. فقال عليه السلام : «بلغني أنك كنت تذبحُ لهم في كل منزل شاةً» فقلتُ: ما أردتُ إلا الله. قال عليه السلام : «أما علمتَ أن منهم مَنْ يُحبُّ أن يفعلَ مِثْلَ فِعَالِكَ، فلا يبلغُ مقدرَتَهُ؟ قلتُ: أستغفرُ الله، ولا أعود[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «سيد القوم خادمهم في السفر» وعنه أيضاً إنه أمر أصحابَه بذبح شاةٍ في سفر، فقال رجل من القوم: عليَّ ذبحها، وقال آخر، عليَّ سلخها، وقال آخر، عليَّ قطعها، وقال آخر، عليَّ طبخها، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : عليَّ أن ألقط لكم الحطبَ، فقالوا، يا رسول الله، لا تتعبنَّ

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣٠٣ ح ٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٠٣ ح ٦.

بآبائنا وأمهاتنا أنت، نحن نكفيك، قال: عرفتُ أنكم تكفونني، ولكنَّ الله عز وجل، يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم، فقام ﷺ يلقط الحطبَ لهم[1].

وورد حسبَ بعضِ النصوص والفتاوى، عدمُ جوازِ تركِ المرأة الحائض، إذا كانت في الحج، وحدَها، حتى تطهُرَ وتأتيَ مناسكَها... ولكن وللأسف الشديد، لاحظنا في السنوات الأخيرة أن بعض المعرِّفين ونتيجةً لجهلهم بالأحكام الشرعية، أو جشعِهِمْ وحبِّهم لتوفير المال، يستعجلون الحجاجَ بعد الإفاضة من منى، للرجوع إلى الوطن... وإن كان بينَهم امرأةٌ حائض دون تقدير أو اعتناءٍ لوضعها الشرعي، وواجبِها في تأدية مناسِكِها وفرائضها.

وتُساهِم السلطات الحاكمةُ في الحجاز، الغاصبةُ للأماكن المقدسة المتسلطة عليها، تساهم في إجبار الحجيج، على اختصار واجباتهم أو تركِها دون الرأفة بحال المرضى منهم. فلنستمع، وخاصة بعضُ المعرفين، إلى مولانا أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قيل له: إن الجمال أبى أن ينتظر امرأةً حائضاً وكذلك رفقاؤها، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس لهم ذلك،

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٦١.

تستعدي عليهم حتى يقيم عليها، حتى تطهرَ وتقضيَ مناسكَها»[1].

وفي نص آخر عن امرأةٍ حجَّت مع قومٍ فاعتلَّت بالحيض، فكان الجوابُ، ليس لهم أن يرجعوا ويَدَعوها، حتى تأذن لهم[2].

هذا هو أدبُ وخُلُقُ الإسلام في الحفاظ على حرمة المسلم وحجاج بيت الله سبحانه. وبذلك، يكون مجمل ما مرَّ معنا من آداب السفر في هذا الباب استحباب صحبةِ النظير في الإنفاق والمالِ ونحوِه، وعدمِ جوازِ تركِ المرأة الحائض حتى تقوم بتمام واجباتها في الحج.

بـــاب
ما يُستحب حملُه في السفر

أكثر سائقي السيارات عندنا، يستمعون أثناء عملهم، من الصباح حتى المساء، إلى الأغاني المختلفة والمنوعةِ التي تُميتُ القلبَ، وتُزهقُ النفسَ، وتَنْشُرُ الرذائل بين الركاب وفي

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٠٦ ح ٢.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠٥ ح ١.

المجتمع. وأكثر الراكبين من أهل الإيمان والحشمة والأدب الحسن، يُحرجون أمامَ هذا الواقع، وانتشار الفواحش.

ومعلومٌ أن الغناء حرام لا يجوز، خاصة في السفر عندما يُفترضُ بالإنسان استحضارُ التوبةِ والانتهاءُ عن المنكر.

ويكفي لهؤلاء السائقين الغافلين تذكيرهم بقول إمامنا الصادقِ عليه السلام: «أما يستحيي أحدُكم، أن يُغنِّيَ على دابته، وهي تُسبِّح»[1].

ويُستحبُ في السفر، حتى إلى الحج والعمرة، حملُ أطيبِ الزاد، كاللوز والسكر واللحم والحلوى، إلا في زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام إذْ ينبغي فيها الاقتصارُ على أنواعٍ خاصةٍ من الطعام. إذ عندما بلغ الصادق عليه السلام خبرُ قومٍ زاروا الحسين عليه السلام وحملوا معهم الطيِّبَ من الطعامَ، علَّقَ قائلاً: «لو زاروا قبورَ أحبائهم ما حملوا معهم هذا»[2].

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من شرفِ الرجل، أن يُطيِّبَ زادَه، إذا خرج في سفر»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٠٦ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠٩ ح ١.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣١٠ ح ١.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ من المروة في السفر كثرةَ الزادِ وطيبه وبذله لمن كان معك»[1]، وعنه عليه السلام: «تبرَّكْ بأن تحمل الخبزَ في سفرك في زادك»[2].

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا سافر إلى مكة للحج أو العمرة تزوَّد من أطيب الزاد من اللوز وغيره[3]. . . . وهذا فعلاً، ما يقوم به بعضُ الناس في أسفارهم، حيث يختارون الطعامَ الطيِّبَ اللذيذ. . . وهذا من السنة النبوية المباركة.

ومن السنة أيضاً، ومن الأدب في الإسلام، حملُ المسافرِ معه جميعَ ما يحتاج إليه من السلاح، والآلات، والأدوية. . .

ومن الطريف، ما كنَّا نراه عند بعض جداتِنا أو أمهاتنا، من حملهم الخيوطَ أو الإبرَ في السفر، لأنهم قد يحتاجون إليها في حالةٍ طارئة، كانقطاع زرٍ، أو تمزُّقِ سروالٍ مثلاً. وهذا فعلاً ما نُصَّ عليه في الأحاديث الشريفة عن المطهَّرين عليهم صلواتُ المصلين.

أما الأدويةُ فتُحملُ في أيامنا هذه في الحافلات الصغيرة

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣١٠، ح ٣.
(٢) المصدر نفسه: ح ٤.
(٣) المصدر نفسه: ح ٢.

والكبيرة والطائرات في أماكن مخصصةٍ لذلك. . وحتى في بعض السيارات الصغيرة كالمرسيدس مثلاً نرى أمكنةً مخصصةً لحمل الأدوية في السفر وهذا من السُنة أيضاً.

أما الآلاتُ فتُحملُ أيضاً، ويُرى هذا اليوم، عند الجيوشِ والكشافةِ وهُواةِ السفرِ الطويلِ، ومُتسلقي الجبال. . . وهذا من السنة المطهرة أيضاً.

ولا بأس بحمل أدوات التجمل في السفر، كالمشط والمرآة وفرشاةِ الأسنان والعطر. . . وهذا هو المعروفُ عند رجالِ الأعمال، وأهل السفر الكثير. . . ومعروفٌ أيضاً بين المؤمنين. . . إلا أنه ينبغي لهم ذكرُ نيةِ القربة إلى الله الخالق جل جلاله.

ورد في وصية لقمان لابنه: «يا بني سافرْ بسيفك وخُفِّك وعِمامتِكَ وحبالكَ وسِقائِكَ وخيوطك ومِخرزِكَ، وتزوَّدْ معك من الأدويةِ ما تنتفع به أنت ومن معك، وكن لأصحابِك موافقاً إلاّ في معصية الله عز وجل»[1].

وكان النبي ﷺ إذا سافر حمل معه: المرآة، والمكحلة، والسواكَ، والمقراض[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣١١ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٢ ح ٣ وح ٤.

فملخصُ الآداب التي مرّت معنا في هذا الباب: عدمُ الغناءِ في السفر، وحملُ الطيِّب من الطعام، إلا في زيارة الحسين عليه السلام. كما يستحب حملُ ما نحتاجُ إليه من آلات وسلاحٍ وأدوات تجميلٍ وأدوية وإبرةٍ وخيطٍ.

باب
تحسين الخُلُق في السفر

يُستحب اصطحابُ التربةِ الحسينية المباركة في السفرِ، وتقبيلُها، ووضعُها على العينين، والدعاءُ بالمأثور. فمن المعلوم، أن التربة الشريفةَ تحمل مزايا وخصائصَ وأسراراً، يصعب على أمثالنا تفسيرُها بالحِسِّ والمادة.

قيل للصادق عليه السلام: تربةُ قبرِ الحسين عليه السلام شِفاءٌ من كل داء، فهل هي أمان من كل خوف؟ فقال عليه السلام: «نعم، إذا أراد أحدُكم أن يكون آمناً من كل خوف، فليأخُذِ السبحةَ من تربته، ويَدْعُ بدعاء المبيت على الفراش، ثلاث مرات، ثم يُقَبِّلْها ويَضَعْهَا على عينيه ثم يقول: أللهم إني أسألك بحق هذه التربة، وبحق صاحبها، وبحق جده، وبحق أبيه، وبحق أمه وأخيه، وبحق ولده الطاهرين، اجعلها شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، وحفظاً من كل سوء. ثم يضعُها في

جيبه، فإن فعل ذلك في الغداة، فلا يزالُ في أمان الله حتى العشاء، وإن فعل ذلك في العشاء، فلا يزال في أمان الله حتى الغداة[١].

ويستحب استصحابُ خاتِمِ عقيق وفيروزج في السفر، ومرَّ تفصيل ذلك معنا، سابقاً، في آداب التختم[٢].

كذلك يُستحبُ معونةُ المؤمن العازم على السفر، وخدمةُ الرفيقِ في السفر، فقد كان علي بن الحسين عليه السلام لا يُسافرُ إلا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترطُ عليهم أن يكون من خدام الرفقةِ فيما يحتاجون إليه، فسافر مرةً مع قوم، فرآه رجلٌ، فعرفه، فقال لهم، أتدرون من هذا؟ قالوا: لا قال: هذا علي أبن الحسين عليه السلام، فوثبوا إليه، فقبَّلوا يديه ورجليه... ولاموا أنفسهم كثيراً حسبما ذكرت الرواية... فقال لهم متواضعاً ومعلقاً على الحادثة: إني كنتُ سافرتُ مرةً مع قومٍ يعرفونني، فأعطَوْني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا أستحق، فأخافُ أن يُعْطوني مثلَ ذلك، فصار كتمانُ أمري أحبَّ لي[٣].

وفي هذا المجال، ذُكِرَتْ رواياتٌ كثيرةٌ عن أخلاق

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣١٣ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٤ ح ١.
(٣) المضدر نفسه: ص ٣١٥ ح ٢.

السفر، واستفاضت في تفصيل ذلك، وقيل: وسُمي السفرُ سفراً لأنه يُسفر عن الأخلاق...

ومن جملة أخلاق السفر: كثرةُ الزَّادِ، وبذلُه للرفاق، والمزاحُ في غيرِ ما يُسخِطُ الله عز وجل، وكتمانُ أسرارِ الرفاقِ بعد مفارقتهم، وقلةُ الخلافِ معهم، وحسنُ الخلق[١]، ويُكره الإختلافُ معهم في مكان النزول للاستراحة... ويُستحبُ استشارَتُهم في أمرك[٢]، وأمورهم، وإكثارُ التبسمِ في وجوههم، وإجابةُ دعوتهم، وإعانَتُهم، وكثرةُ الصلاة، وسخاءُ النفس بما تحمل، والعملُ معهم لما يعملون، والصلاةُ في أول وقتها، والأفضلُ أن تكون جماعة، وتوديعُ الأرضِ التي تنزلُ بها، وتُسلمُ على أهلها، فإن لكل بقعةٍ أهلاً من الملائكة، وقراءةُ كتابِ الله عز وجل، والدعاء[٣]...

ومن الآداب في استقبال الحجاج والمعتمرين إذا قدموا، مصافحتُهم وتعظيمُهُم ومعانقتهم وتقبيلُ ما بين أعينهم وأعيُنهم ووجوههم والدعاءُ لهم... فعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «بادروا بالسلام على الحاج والمعتمر،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣١٧ باب ٤٩.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٦ باب ٤٨.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٢٣ ح ١ وح ٢.

ومصافحتهم من قبل أن تخالطَهُم الذنوب»[1].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «يا معشر مَنْ لم يحجّ، استبشروا بالحاج وصافحوهم، وعظّموهم، فإن ذلك يجب عليكم، تشاركوهم في الأجر»[2].

وعن الباقر عليه السلام: «وقّروا الحاج والمعتمر، فإن ذلك واجب عليكم»[3].

وعن الصادق عليه السلام: «مَنْ عانق حاجاً بغُبارِهِ كان كأنّما استلم الحجر الأسود»[4].

وعن علي عليه السلام قال: «إذا قدم أخوك من مكة، فقبّل بين عينيه، وفاه الذي قبّل به الحجرَ الأسودَ الذي قبّله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والعينَ التي نظر بها إلى بيت الله، وقبّل موضعَ سجوده، ووجهه...»[5].

وختاماً: نُذَكِّرُ بما مرَّ معنا في هذا الباب ومنه: اصطحابُ التربةِ الحسينية في السفر، وخاتِمِ الفيروزج والعقيق،

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣٢٧ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ح ٢.
(٣) المصدر نفسه: ح ٣.
(٤) المصدر نفسه: ص/٣٢٨ ح ٥.
(٥) المصدر نفسه: ح ٧.

وتحسينُ الخلقِ مع رفاق السفر، والتبركُ بالقادمين من حجاج بيت الله الحرام.

بـاب
إعلامُ الإخوان بالسفر

الحمد لله الذي فتح بصائرَ أوليائه بالحكم والعبر، واستخلص هَمَهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر.

من الآداب في الإسلام إعلامُ الإخوان بنية السفر، حتى يتسنى لهم توديعُه، أو أداءُ حقوقه، أو التسامحُ منه، أو توصيتهُ بما ينفعه... وقد يكون وراءَ هذا الاستحباب أسرارٌ معنويةٌ نجهلها، كتقوية أواصر الأخوَّةِ بين المسلمين، وانصهارهم مع بعضهم البعض، وتذكُّرِ سفرِ الآخرة الذي سيلحقُ الجميع.

ومن الأدب أيضاً أنه إذا رجع من السفر استقبلوه وهنَّأوه. فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «حق على المسلم إذا أراد سفراً أن يُعلم إخوانَه، وحق على إخوانه إذا قدم أن يأتوه»[1].

وورد أيضاً كراهيةُ الدخولِ إلى الأهلِ ليلاً وفُجأةً، وقد

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٢٩ ح ١.

يكون مرجع ذلك إلى رغبة المرأة في التزين والاستعداد لاستقبال زوجها، أو انهماكها في شؤون المنزل من تنظيف وغيره، مما يُسيءُ للزوج القادم من السفر وعنائه، الراغب في التفرغ له، وفي مَنْ يهتم بشؤونه في الساعات الأولى لوصوله، كتجهيز الحمام له، وتهيئة الثياب النظيفة، وإعداد الطعام الطيِّب، والفراش الوثير... وما شاكل ذلك من وسائل الراحة.

فإذا وصل المسافر إلى قرب البلد أو كان في طريقه إليها، فليبعث خبراً إلى أهله، يُعْلِمُهُمْ بقدومه، أو يوصي مَنْ سبقه من القوافل بذلك... أو فليتصلْ تلفونياً... فإنَّ ذلك أهنأُ له وللعيال. فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجلُ أهلَهُ ليلاً، إذا جاء من الغَيْبة، حتى يؤذِنَهمْ»[1].

وتُستحب سرعةُ العودِ إلى الأهلِ والبلد، بعد الانتهاء من شؤون الغربة والسفر، لأن السفر يُتعِبُ المرءَ ويجعلُه في حالٍ غير مستقرة، ليعيش حالَ الطوارىء في كافة شؤونه الحياتية... فإذا رجع إلى وطنه ارتاح واطمأنَّ، كما يسكنُ الصبي إلى حجر أمه، وقد رُوي عن محمد بن علي بن

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣٢٩، ح ٢.

الحسين عليه السلام قوله: «السفر قِطعةٌ من العذاب، فإذا قضى أحدُكم سفرَه، فليُسرعِ العودَ إلى أهله»[1].

ويُستحبُ استصحابُ المسافرِ هديةً لأهله إذا رجع، ولا يخفى ما في ذلك من إشارات إلى الحب، والعلاقات الحميمة، بين أفراد الأسرة، وعلامة الشوق لهم. ويمكن أن تكون الهدية مطعوماً أو غيره، على قدر إمكانه فهو سنة... وكأن هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة، لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر، والقلوبَ تفرح به، فيتأكدُ الاستحبابُ في تأكيد فرجهم، وإظهارِ التفات القلب إلى ذكرهم في السفر، بما يستصحبه في الطريق لهم[2].

فعن جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا سافر أحدُكم فقدم من سفر، فليأتِ أهلَه بما تيسَّر، ولو بحجر، فإنَّ إبراهيم، كان إذا ضاق، أتى قومَه، وأنَّه ضاقَ ضيقةً، فأتى قومه فوافق منهم أزمةً، فرجع كما ذهب، فلما قرب من منزله، نزل عن حماره، فملأ خُرْجَه رملاً، إرادةَ أن يُسكِّنَ من رَوْع سارة، فلما دخل منزله، أخذ الخُرْجَ عن الحمار، وافتتح الصلاةَ، فجاءت سارة، ففتحت الخُرْجَ، فوجدَته مملوءاً دقيقاً،

(١) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٣٣٠ ح ١.
(٢) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٧٦.

فاعتجنت منه واختبزت، ثم قالت لإبراهيم، انفتل من صلاتك فكُلْ، فقال لها؛ أنّى لك هذا؟ قالت: من الدقيق الذي في الخُرج، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: أشهد أنك الخليل[1].

ومن المستحب في السفر، العَوْدُ في غير طريق الذهاب: أي العَوْدُ من غيرِ الطريق الذي سلكه عند ذهابه... وقد تكون المنفعةُ، في التعرف على الطرقات، أو أسباب أمنيةٍ، أو أمرٍ آخر، والله العالم. فقد كان رسول الله ﷺ، إذا سلك طريقاً لم يرجع فيه[2].

وذكر بعضهم استحبابَ التناوب في الليل بين الرفقاء للحراسة، فإذا نام واحد، حرس آخر[3].

وختاماً نوجز ما مرَّ معنا، على النحو التالي:

إعلامُ الإخوانِ بنية السفر ليودِّعوه، وإذا جاء استقبلوه. واستحبابُ سرعة العود إلى الوطن إذا انتهى من أعماله، واصطحاب هديةٍ معه، وأن يرجعَ من غير الطريق الذي سلكه في سفره.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٨ ص ٣٣٧ ح ١.
(٢) المصدر نفسه: ص ٣٣٦ ح ١.
(٣) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٦٨.

بــاب
التفكر في السفر وزيارةُ الأئمة عليهم السلام

ينبغي أن يتحمل الإنسانُ في السفر، ما لا يتحملُهُ في الوطن والحضر عادةً. ويقول علماءُ الأخلاق في هذا الباب: إنَّ المسافر يواجه صعوباتٍ شخصيةً وعامة، ناتجةً عن تغيّر الأجواء، وتبدل الأحوال، فعليه صرفُ جهدٍ زائدٍ في الحفاظِ على مقدمات سلوكه القويم مع الآخرين.

ويقول مولانا الفيضُ الكاشاني، عليه الرحمة والرضوان، في تنقيح هذه الفكرة: «فالنفس في الوطن، مع مؤاتاة الأسباب، لا يظهر أخلاقُها لاستئناسها بما يُوافقُ طبعَها من المألوفات المعهودة، فإذا حَمَلَتْ وعثاءَ السفر، (أي مشقّتَه وتعبه) وصُرفتْ عن مألوفاتها المعتادة، وامتُحنت بمشاق الغربة، انكشف غوائلُها، ووقع الوقوفُ على عيوبها..»[1].

من هنا كان للمسافر أن ينصرف في التأمل في خلق الله تعالى، والنظر إلى عجائبه، وهو القائل عز وجل: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾[2] وقال: ﴿**وفي الأرض آيات**

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٤٣.
(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.

للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تُبصرون﴾[١].

«وأما آيات الله في أرضه، ففي مشاهدتها فوائدُ للمستبصرِ، ففيها قطعٌ متجاورات، وفيها الجبال والبراري، والبحار وأنواعُ الحيوان والنبات، وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية. . .»[٢].

قال العارف الكامل، والسالك الواصل، مولانا الفيض الكاشاني في حجته ومحجته البيضاء: «ومن يسافر ليستقرىء هذه الشهادات، من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات، لم يطل سفرُه بالبدن، بل يستقر في موضع، ويُفرغُ قلبَه للتمتع بسماع نغمات التسبيح من آحاد الذرات، . . . وله غنية (أي استغناءٌ) في ملكوت السموات، والشمس والقمر والنجوم مسخرات، وهي إلى أبصار ذوي البصائر، مسافرات، في الشهر والسنة مرات، بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات، . .»[٣].

ولا تُعرفُ أخلاقُ الناس إلا في المواطن الصعبة كالسفر وغيره، حيث يُحتاجُ إلى التحمل والتصبر. . . وكم من رجلٍ

---

(١) سورة الذاريات: الآيتان ٢٠ و٢١.
(٢) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٤٣.
(٣) المصدر نفسه: ص ٤٤.

تعرفه، فوجئت بأخلاقه من خلال رحلةٍ أو صحبةٍ..

وقيل لرجل عن رجل آخر، هل صحبته في السفر الذي يُستبدل به عَلى مكارم الأخلاق؟ فقال: لا، فقال: ما أراك تعرفه[1].

ومن أفضل أسباب السفر، السفرُ لزيارة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لتجديد الولاء والوفاء للحضرة القدسية، وللتبرك بالأنوار العلية. فقد رُوي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قوله: «إنَّ لكل إمامٍ عهداً في عُنُق أوليائه وشيعته، وإنَّ من تمام الوفاء بالعهد، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتُهم شفعاءهم يوم القيامة»[2].

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي مَنْ زارني في حياتي، أو بعد موتي، أو زارك في حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما، ضمنتُ له يوم القيامة، أن أخلِّصَه من أهوالها وشدائدها، حتى أصيِّرَه مَعي في درجتي»[3].

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٤، ص ٤٢

(٢) المحجة البيضاء: ج ٤ ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه.

وعن الصادق عليه السلام: «من زار قبر الحسين عليه السلام جَعَلَ ذنوبه جسراً على باب داره، ثم عبرها، كما يخلُفُ أحدُكُم الجسر وراءه إذا عَبَرَه»[1].

وقال أبو جعفر، محمد بن علي الرضا عليه السلام: «إنَّ بين جبلي طوس قبضةً قُبضتْ من الجنة، مَنْ دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار»[2].

وفي فضل زيارة المقامات المقدسة، أحاديثُ كثيرة يضيقُ المجال بذكرها.

ومن الفضلِ والأدب في الإسلام شدُّ الرِّحال وقصدُ العلماء، ومقاربةُ الأولياء، لطلب بركة الدعاء، وبركةِ النظرِ إليهم، فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادةٌ، ولتحريك الرغبة في الإقتداء بهم، والتخلق بأخلاقهم، وآدابهم، هذا، سوى ما يُنتظرُ من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم، كيفَ ومجردُ زيارةِ الإخوان في الله فيه فضلٌ.

وكان السلف الصالح يُسافرون أياماً وأسابيع لتحصيل

---

(١) المحجة البيضاء: ج ٤، ص ٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٨.

حديثٍ أو حكمةٍ أو مجاورة عالمٍ. وقلَّما نجدُ عالماً أو حكيماً أو عارفاً أو مُحصلاً لم يُسافر في طلب ما هو فيه.

وختاماً، نوجز ما تقدم معنا، من التفكر والتأمل والمحافظة على الخلق في السفر، وأن نقصد زيارةَ ضرائح الأولياء عليهم السلام، وزيارةَ العلماء للاستفادة منهم علماً وعملاً.

والحمد لله رب العالمين

ويليه الجزء السابع، وفيه:
آداب الجهاد، والمرابطة، والإرصاد، وجهاد
أهل البغي والأعداء، وصفات أمراء السرايا،
والشجاعة، والرايات، والمخادعة، وأحكام الأسير...

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفهرس